التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في الحروف الثلاثية والرباعية في كتاب عقود المرجان في تفسير القرآن للسيد نعمة الله الجزائري

سهام رمضان حسين

أ.م. د جاسم خيري الحلفي

جامعة ميسان / كلية التربية/ قسم اللغة العربية

الملخص:

إنَّ للتغير الدلالي أثراً مهماً في فهم النَّصَّ القرآني، فقراءة القُرَّاء للحرف بعدة أوجه أدَّى إلى تغير في الدلالة والاعراب، وعلة دراستنا للتوجيه النحوي في قراءات الحروف الثلاثية والرباعية جاءت لبيان الوجه الراجح من القراءة والمناسب لسياق النَّصَّ، والتي قرأ بها قُرَّاء مشهورون، ويعالج البحث هذه الاختلافات التي تحدث لاختلاف القراء والأمصار التي يقرأون عليها، وبيان الوجه النحوي الراجح منها.

Grammatical guidance for the Quranic readings in the three and four letters in the book euqud almarjan lilsayid niemat allah aljazayirii

Siham Ramadan Hussain

Asst .Prof .Jasim Khayri Al-Hulfi

Maysan University/College of Education Department

of Arabic Language

Summary

The semantic change has an important impact on the understanding of the qur'anic text, so the readers reading of the letter in several aspects led to change in the semantics and syntax. Which occurs due to the different readers and the cities they read on, and the statement of the most correct grammatical aspect.

المقدمة:

لابُدَّ من التعريف بالقراءات القرآنية وبيان أهميتها؛ لأنها مقدمة ضرورية لمن أراد أن يتعرض لذكر القرآن الكريم، فلا يكاد يخلو كتاب تفسير من التعرض للقراءات القرآنية، وأول القول إنَّ تلك القراءات تنسب إلى قراء معينين، وهي تعصم الكلمات القرآنية وتصونها من الخطأ في النطق أو التحريف أو التغيير؛ فهي من أفضل العلوم؛ لأنَّها متعلقة بكلام الله (□)، ولا يوجد كلام أفضل من القرآن الكريم فهو المسار الذي يحدد لنا مسيرة الحياة بأمورها وما نأخذ به وما ننتهي عنه، وأيضاً فإنَّ القراءات نزلت لتحل مشاكل الأمة وما اختلفوا فيه، ولها دور في الايجاز فلو كل قراءة عُدَّت آية لأصبح إطالة.

القراءات (لغةً): عند ابن منظور " قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ، قَرْءاً وقِراءَةً وقُرآنا ... فَهُوَ مَقْرُوء ... ومَعْنَى الْقُرآنَ مَعْنَى الْجَمْعِ، وسُمِّيَ قُرْآناً لأَنَّهُ يَجْمَعُ السُّوَرَ، فَيَضُمُّها "[١].

وعرَّفها الفيروز آبادي: " قَرْءاً وقراءَةً وقُرْاناً، فهو قارئٌ من قَرَأَةٍ وقُرّاءٍ وقارِئينَ: تَلاَهُ، كاقْتَرَأَهُ، وأَقْرَأْتُهُ أنا، وصَحيفَةٌ مَقْرُوأةٌ ومَقْرُوَّةٌ ومَقْرِيَّةٌ "[٢].

القراءات (اصطلاحاً): عند ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، ويمكن أنْ نعد تعريفه من أشهر التعريفات؛ إذْ عرَّفها على " أنها علم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزواً لناقله "[٣] فالقراءات هي: اختلاف ألفاظ الوحي في اللفظ أو الحرف وكيفية أدائه كما نطق بها الرسول محمد (□) على وفق ما علمه جبريل (عليه السلام)؛ إذْ يبحث في بيان الصورة اللفظية للكلمة القرآنية كما نطق بها رسول الله (□)[٤].

التَوْجِيه لُغَةً: وَجَّه فلَان فلَاناً عِنْدَ النَّاس (يجهه) وَجها صَار أوجه مِنْهُ، وَوَجه فلَان(يُوَجه) وجاهة صَار ذَا قدر ورتبة فَهُوَ وجيه، وَجه انْقَادَ وَاتبع، والاتجاه: الْوَجْه الَّذي تقصده، وفي البلاغة: إِيرَاد الْكَلَام مُحْتملاً لوَجْهَيْنِ مُخْتَلفين [٥].

الوَجه معروف، ويجمع على وجوه، والوجه: المُحيّا، ووجه البيتَ: ما يكون فيه بابه، ويقال: هذا وجه الرأي؛ أي هو الرأي نفسه، والوَجه والجِهة بمعنى واحد، والهاء عوض من الواو، والاسم: الوِجهة،

---

[١] لسان العرب، ابن منظور: مادة (قرأ): ٣٥٦٣.

[٢] القاموس المحيط، الفيروز آبادي: مادة (قرأ): ١٢٩٨.

[٣] منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري: ٣.

[٤] يُنْظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، عبد الهادي الفضلي: ١٤.

[٥] يُنْظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون: ١٠١٥/٢.

والوُجهة بكسر الواو وضمها، والوجه: ما أقبل عليك من الفرس، ووجه النهار: أوَّله، ووَجه الأمر وجِهَتِهِ، وَجهه، والتوجيه مالهُ أكثر من وجه [١].

التوجيه اصطلاحا:

التوجيه: مجيء الكلام محتملاً لوجهين مختلفين عن بعضهما [٢].

التوجيه عند المتأخرين من أهل البديع هو: " أنْ يؤلف المتكلم مفردات بعض الكلام أو جملياته، ويوجهها إلى أسماء متلائمات صفاتها اصطلاحاً من أسماء أعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك، مما يتشعب له من الفنون توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني"[٣].

التوجيه النحوي هو: " هو المعنى النحوي الخاص بالحالة الاعرابية الواحدة، ككون الكلمة مرفوعة؛ لأنَّها فاعل أو مبتدأ أو غير ذلك من المعاني النحوية التي يكون عليها الرفع "[٤]. **المطلب الأول- الحروف الثلاثية:**

ونعني بالحروف الثلاثية هي الحروف التي تتشكل بنيتها من ثلاثة حروف أو أكثر، ولها دلالات متعددة كأن تكون نحوية أو بلاغية وغيرها، وما يهمّنا هو جانب القراءة المتعلق بها، وما التغيير الدلالي الحاصل عند قراءتها بأكثر من وجه، وترجيحات العلماء للقراءات الشائعة التي قرأها القُرَّاء المشهورون، وتماشت مع العربية، وبيان القراءات الشاذة منها، ومن تلك الحروف التي قرأ بها القُرَّاء هي:

اولاً- إنَّ: " لها وجهان تكون بمعنى نعم، لا تعمل شيئاً، فتقول: إنَّ عبد الله قائمٌ، تريد عبد الله قائمٌ، وإنَّ قائمٌ عبدُ اللهِ على ذلك التقدير، والوجه الثاني: تنصب الاسم وترفع الخبر، تقول: إنَّ زيداً منطلق؛ ومعناها التوكيد "[٥].

وسُمّيت هذه الأحرف بالأحرف المشبهة بالفعل ومنها (أنَّ)؛ لأنّها شابهت الفعل لفظاً ومعنى؛ فهي على وزن الفعل، ومبنية على الفتح، وتقتضي اسماً وكذلك الفعل وهي تدخلها نون الوقاية كالفعل، وفيها معنى الفعل، فمعنى (إنَّ) حَقَّقت، ومعنى (كأنَّ) شَبَّهت، ومعنى (لكن) استدرَكْتُ، ومعنى (ليت) تَمَنَّيت، ومعنى (ليت) تَرَجَّيت، فلمَّا أشبهت الفعل وجب أن تعمل عمله فكان لها مرفوع ومنصوب مثل الفعل [٦].

---

[١] يُنْظر: لسان العرب، ابن منظور: ٤٧٧٥ – ٤٧٧٦. (مادة وجه).

[٢] يُنْظر: معجم مقاليد العلوم، السيوطي: ١٠٤. ويُنْظر: التوقيفات على مهمات التعاريف، المناوي: ١١٢.

[٣] الكليات، الكفوي: ٣٠١.

[٤] قواعد التوجيه في النحو العربي، عبد الله الخولي: ٨.

[٥] حروف المعاني، الزجاجي: ٣٠.

[٦] يُنْظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري: ١٤٥/١.

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ [طه:٦٣].

ذكر السيد الجزائري قوله تعالى: ﴿إن هذان﴾، فقال: " ﴿إن هذان﴾ أبو عمرو: ﴿إنّ هذين﴾ وهو ظاهر وابن كثير وحفص: ﴿إنّ هذان﴾ بتشديد ﴿إنّ﴾، و ﴿هذان﴾ اسم إنَّ على لغة بلحارث بن كعب فإنهم جعلوا الألف للتثنية وأعربوا المثنى تقديراً وقيل: اسمها ضمير الشأن المحذوف و ﴿هذان لساحران﴾ خبرها وقيل: ﴿إنّ﴾ بمعنى نعم، وما بعدها مبتدأ وخبر، وفيهما أنَّ اللّام لا يدخل خبر المبتدأ، وقيل: أصله: إنّه هذان لهما ساحران فحذف الضمير، وفيه أنّ المؤكد باللّام لا يليق به الحذف "[١].

ورد عن الفراء في معانيه أنَّ القرّاء قد اختلفوا في هذه القراءة المشكلة؛ فذهب بعضهم إلى أنَّه لحنٌ وهم يمضون عليه كراهة مخالفة كتاب الله، وقرأ أبو عمرو: ﴿إنَّ هذين لساحران﴾، محتجاً بالروايات التي تذهب إلى أنّ في القرآن لحناً وستقيمه العرب بألسنتها، وفي قراءة عبد الله: ﴿وأسروا النجوى أنْ هذانِ ساحرانِ﴾، وفي قراءة أُبّي: ﴿إنْ ذانِ إلّا ساحرانِ﴾، ويختار القرَّاء من جهته القراءة بتشديد ﴿إنَّ﴾ و ﴿هذانِ﴾ بالألف، ويحتج لها في أنَّها جاءت على لغة بعض العرب وهم بنو الحارث بن كعب؛ إذ يجعلون الأثنين بالألف في كلِّ حالٍ من رفعٍ أو نصبٍ أو خفضٍ، وقد نُقِلَ عنهم قولهم: (هذا خطّ يدا أخي بعينهِ)، وكذلك في أنَّ الألف من (هذا) دعامة وليست لام فعل، فلمَّا ثبتت زيدت عليها نوناً وتركت على حالها كما قالت العرب: (الذي) ثمَّ زادوا نوناً عند الجمع؛ فقالوا (الذين) في الرفعِ والنصبِ والخفضِ[٢].

وعن أبي عبيدة في معانيه أنَّ أبا عمرو وعيسى ويونس يذهبون إلى أنَّ ﴿إنَّ هذين لساحران﴾ من جهة اللفظ، وكتبت ﴿هذان﴾ بالألف مثله مثل أي زيادة ونقصان في الكتاب، ويبقى أنَّ اللفظ هو الصواب، وقد سمع عن بعض العرب وهم بنو كنانة الرفع في الأثنين في موضع الجر والنصب، وذهب بعضهم إلى أنَّ ﴿إنْ﴾ مخففة بمعنى الابتداء والايجاب؛ وبهذا فهي بمعنى (نعم)، ثمَّ قال: ﴿هذا ساحران﴾، ويقول بعضهم في كلامه (إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي) فيرفع (ملائكته) ولا يعمل فيها (إنَّ) على إرادة الابتداء أو الشركة فيه؛ أي بالعطف على موضع اسم (إنَّ) في أصله أو قبل دخولها عليه، وقد قُرِئت بالتخفيف، وهو جائز لدخول اللام، وهناك من زعم أنَّ هذا لا يجوز؛ لأنّه إذا خفف نون (إنَّ) فلابدَّ أن يدخل (إلّا) فيقول: ﴿إنْ هذان إلّا ساحران﴾[٣].

---

[١] عقود المرجان، الجزائري: ٣/٢٥١-٢٥٢.

[٢] يُنْظَر: معاني القرآن، الفراء: ٢/١٨٣-١٨٤. ويُنْظر: القراءات وأثرها في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم:٣٨. ويُنْظر: القراءات واللهجات، عبد الوهاب حموده:٢٤.

[٣] يُنْظر: مجاز القرآن، أبو عبيده: ٢/٢١-٢٣.

ويوضح النحاس القراءات في ﴿إنْ هذان لساحران﴾، وهي ست قراءات؛ فقد قرأ المدنيون والكوفيون ﴿إنَّ هذانِ لساحرانِ﴾، وقرأ أبو عمرو ﴿إنَّ هذين لساحرين﴾، وهي قراءة مروية عن الحسن وسعيد بن الجبير وغيرهم، وقرأ الزهري والخليل بن أحمد وعاصم وغيرهم ﴿إنْ هذانِ لساحران﴾ بتخفيف (إنْ)، وروي عن عبد الله بن مسعود ﴿إنْ هذان إلّا ساحران﴾، وروي الكسائي أنَّ قراءة عبد الله ﴿إنْ هذان ساحران﴾ بغير لام، وقراءة أُبَيّ ﴿إنْ ذان إلّا ساحران﴾، فهذه جملتها ست قراءات، والثلاثة الأخيرة مخالفة لخط المصحف [١].

ويذكر النحاس أراء العلماء في القراءة الأولى، ومن ذلك أنَّ ﴿إنْ﴾ جاءت بمعنى (نعم)، وقد حكاها الكسائي عن العرب، وحكى سيبويه أيضاً أنَّها تأتي بمعنى (أجل)، وهذا القول يذهب إليه المبرد ونحاة آخرون منهم الزجاج والأخفش، ويرى أبو زيد والأخفش والقرّاء أنَّها على لغة بني الحارث بن كعب؛ فهم يقولون: رأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وحكى بعضهم وحكى بعضهم أنّها لغة بني كنانة، ويرى الفراء في قولٍ آخر أنّها، أي (هذانِ) جاءت على هذه الصورة؛ لأنَّ الألف دعامة، وليست بلام الفعل فزيدت عليها النون ولم تُغيّر، وهناك من يرى أنّ الألف في ﴿هذان﴾ شابهت الألف في (يفعلان) فلم تغير، وهناك رأي ينسب لنحويين متقدمين يرى أنَّ هناك هاء مضمرة، والمعنى: (إنَّه هذان لساحران)، ورأي أخير لأبي الحسن بن كيسان، يرى أنّه لمّا كان يقال: (هذا) في الرفع والنصب والخفض؛ وكانت التثنية يجب أن لا يتغير لها بناء المفرد الواحد أجريته هكذا[٢].

ويتبين لنا من ذلك أنَّ القرَّاء قد أجمعوا على تشديد نون (إنَّ) إلَّا ابن كثير وحفصاً عن عاصم، فإنهما خففا، وأجمع القراء على لفظ الألف في (هذان) إلّا أبا عمرو فأنه قرأها بالياء؛ فالحجة لمن قرأ بالتشديد وبالألف في (هذان) ما روي عن ابن عباس في أنَّ الله (□) أنزل القرآن بلغة كلِّ حي من أحياء العرب، وهذه اللفظة بلغة بلحارث بن كعب، وهي مثبتة في سواد المصحف بالألف، والحجة لمن خفف النون أنه جعلها من الثقيلة وأزال عملها وهو بهذا لم يغير الخط ولا لحن في موافقة الخط، وإن اعترض عليه بأنَّ اللام لا تدخل على ضمير المبتدأ فلا يقال: زيدٌ لقائمٌ، فالرد عليه أنَّه قد ورد عنهم ذلك، وعليه شواهد مروية، وهناك من يرى أنَ (إن)هنا بمعنى (ما) و(اللام) بمعنى (إلّا)، كقوله تعالى: ﴿**إنَّ كل نفس لمَّا عليها حافظ**﴾ [الطارق:٤] والمعنى: ما كل نفسٍ إلّا عليها حافظ[٣].

ومراتب هذه القراءات كما يبينه الأزهري أنَّ القراءة (إنَّ هذين) وهي قراءة أبي عمرو فهي اللغة العالية التي يتكلم بها جماهير العرب وموضع إشكالها أنها مخالفة لخط المصحف، وكان أبو عمرو يذهب في مخالفته لخط المصحف للروايات التي تذهب إلى خطأ الكاتب كما تقدم، وأمَّا قراءة ﴿إنْ هذانِ لساحرانِ﴾ بتخفيف ﴿إنْ﴾ ورفع

---

[١] يُنْظر: إعراب القرآن، النحاس: ٣/٣٠-٣١.

[٢] يُنْظر: إعراب القرآن، النحاس: ٣/٣١-٣٢.

[٣] يُنْظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه: ٢٤٢-٢٤٣. ويُنْظر: النكت في إعراب القرآن، القيرواني: ٣١٩-٣٢٢. ويُنْظر: إعراب القرآن، الأصبهاني: ٢٢٩-٢٣١.ويُنْظر: البيان في غريب إعراب القرآن، الأنباري: ٢/١٤٦.

﴿هذانِ﴾ فهي الموافقة لخط المصحف، وذهب أصحابها إلى أنَّ (إنَّ) إذا خففت لم تعمل ورفع الاسم بعدها، والمعنى: (ما هذانِ إلّا ساحران)، واللام بمعنى (إلّا) وهو الصحيح في كلام العرب بحسب الأزهري وفي المعنى أيضاً، وأمَّا قراءة العامة ﴿إنَّ هذان لساحرانِ﴾ فصحته في العربية واضحٌ وهو أنّه لغة لبعض العرب وهم كنانة أو غيرهم، وعليه شواهد تدل عليه كما ذكر النحويون القدماء ومنهم الأخفش الكبير وغيره، أو على أنَّ هناك هاء مضمرة كما ذكرناها سابقاً، أو (إنّ) بمعنى (نعم)، وهو رأي يصفه الزجاج بأنَّه الأجود، الذي لا يجيز قراءة أبي عمرو لمخالفتها المصحف، ويستحسن قراءة ﴿إنْ هذان﴾، بالتخفيف؛ لأنَّه قرأ بها إمامان وهما عاصم، والخليل[١].

ويذكر الفارسي حججاً أُخرى غير ما ذكر سابقاً لتعليل القراءات المختلفة، ومن ذلك: إنَّ قراءة ﴿إنَّ هذانِ لساحرانِ﴾ تحتمل أن تكون بمعنى (أجل)، وأن تكون الناصبة المؤكدة، ومن يجعلها بمعنى (أجل) يذهبُ إلى أنَّ الجواب بـ (نعم) أو (أجل) ينصرف هنا إلى تصديق أَنفسهم؛ أي السحرة، فيما أدعوه من السحرِّ، فقد تقدم ﴿**أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحرٍ مثله**﴾ [طه:٥٨،٧]، وقد قال سيبويه: نعم، عِدَةٌ وتصديق، وصرفها إلى الناصبة أولى من أن تكون بمعنى (نعم)، وموضع الأشكال فيما يتعلق بحملها على معنى (نعم) يبقى من الكلام (هذان لساحران)، فتكون اللام داخلة على الخبر، وهو كما ذكر النحويون لا يكون إلّا في الضرورة ولا يمكن الإجابة عنه بأن اللام، أي: لام الابتداء، داخلة على محذوف؛ لأنَّ التأكيد باللام لا يصلح معه الحذف، والأوجه في الكلام والرتبة أن يتم الكلام ولا يحذف، فأمَّا أن يحذف ثمّ يؤكد فغير صالحٍ، ويردّ الفارسي أيضاً على من زعم أنَّ الألف في (هذان) هي الألف في (هذا) لم تنقلب ياءً، في أنّه مخالف لظهورها منصوبة بالياء في الشواهد وغيرها[٢].

ويُفَصّل ابن زنجلة الأوجه السابقة ومنها القراءة بنصب ﴿هذان﴾ بالياء وهي قراءة أبي عمرو، ويرى أنّها لغة فصحاء العرب، وأبو عمرو لا يحتاج لدليل على صحتها كما أنّ القارئ في قوله تعالى: ﴿**قال رجلانِ من الذين يخافون**﴾ لا يحتاج لدليل في صحة قراءته، ومن قرأها بالألف ﴿إنْ هذان﴾ فحجته أنّها هكذا في المصحف الإمام مصحف عثمان، وهو مشكل على أهل اللغة، وقد اختلفوا في تفسيره على ما ذكر سابقاً، ويروي عن قطرب قوله إنها بمعنى أجل؛ لأنّه قد سبقها ﴿**فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرّوا النجوى**﴾ ثم قالوا: أجل، على وجه التصديق لبعضهم بعضاً، واللام داخلة على الخبر للتوكيد، ولا يمتنع ذلك بحسب الشواهد المروية[٣].

ويرى أبو شامة أنَّ تخفيف (إنْ) قراءة جيدة ولا تحتاج إلى تأويل، فرفع هذان، لأنَّ (إنْ) إذا خففت توقف عملها في نصب الأول ورفع الثاني، واللام جاءت فارقة بين المخففة من الثقيلة وبين النافية وهو رأي البصريين،

---

[١] يُنْظر: معاني القراءات، الأزهري: ١٤٩/٢-١٥١.

[٢] يُنْظر: الحجة للقراء السبعة، الفارسي:٢٣٠/٥-٢٣١.

[٣] يُنْظر: حجة القراءات، ابن زنجلة: ٤٥٤-٤٥٥.

أمَّا الكوفيون فيقدرون قوله تعالى: ما هذان إلَّا ساحران وهي الأرجح وقرأ بها الخليل وهو أعلم النحويين، إذ قرأها مخففة [١].

وهذه المسألة من مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين، فيرى الكوفيون أنَّ " (إنْ) إذا جاءت بعدها (اللام) تكون بمعنى (ما) و (اللام) بمعنى (إلّا)، وذهب البصريون إلى أنَّها مخففة من الثقيلة، واللام بعدها لام التأكيد "[٢].

ونلخص بعد عرض هذه القراءة والآراء المختلفة منها أنّها من المسائل المشكلة التي ذهب فيها كل فريقٍ مذاهب مختلفة، على الرغم من ورود روايات تذهب إلى أنّها ممّا أخطأ فيه الكاتب، يمكن أن نجد لها مسوغاً من لغة العرب والفصحاء منهم على وجه الدقة، ولا تخرج عن البلاغة، فالقراءة بالألف مخففة أو مثقلة هي من الكلام العربي ويستقيم مع السياق القرآني والمعنى العام، لكن يبدو أنَّ التخفيف أقرب إلى المعنى، وجاء عند ابن عقيل أنَّه " إذا خففت (إنْ) فالأكثر إهمالها... وإذا أُهملت لزمتها اللام فارقة بينها وبين (إن) النافية "[٣].

ثانياً: ومن اختلاف القراءات في (إنَّ) أيضاً جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٦]

نقل لنا السيد الجزائري هذه القراءة في عقوده؛ فقال قرأ: " وإنَّ الله، أهل الكوفة وابن عامر بكسر الهمزة والباقون بالفتح يحتمل الفتح أربعة أوجه: أحدهما: أنَّ المعنى وقضى أنَّ الله ربّي وربّكم، الثاني: العطف على كلام عيسى أي: وأوصاني بأنّ الله ربّي وربّكم، الثالث: ذلك عيسى بن مريم، وذلك أنّ الله ربّي وربّكم، والرابع: أنَّ العامل فيه ﴿فاعبدوه﴾، أي: ولأنَّ الله ربّي وربّكم فاعبدوه، فحذف الجارّ، ومن كسر الهمزة جاز أن يكون معطوفاً على قوله ﴿قال إنّي عبد الله﴾؛ [أي:] وقال: إنّ الله ربّي وربّكم، وجاز أن يكون [ابتداء] كلام من الله وأمر منه لرسوله أن يقول ذلك، هذا صراط أي: طريق واضح فالزموه "[٤].

إنَّ اختلاف مذهبي الكوفة والبصرة في قراءة الحرف (أن) بالفتح والكسر، ويذكر أنَّ القرّاء قد اختلفوا في ﴿وإنَّ الله ربي وربكم﴾؛ فقرأته قرّاء أهل المدينة والبصرة بالفتح واختلف أهل العربية في تأويلها؛ فالرأي عند نحويي الكوفة أنَّها فتحت للعطف على ﴿عيسى﴾، والمعنى: (ذلك عيسى بن مريم، وذلك أنَّ الله ربي وربكم)، وعلى هذا تكون رفعاً، ويمكن أن تؤول بالخفض، كقوله تعالى: ﴿**ذلك أن لم يكن ربك**

---

[١] يُنْظر: إبراز المعاني من حرز الأماني، أبي شامة: ٥٩٠.

[٢] الأنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري: ٥٢٦/٢.

[٣] شرح ابن عقيل، ابن عقيل: ٣٠٦/١.

[٤] عقود المرجان، الجزائري: ٢٠٣/٣-٢٠٤.

مهلك القرى﴾ [الأنعام:١٣١] ويمكن أن يكون الفتح على تأويل: (وأوصاني بأنَّ الله)، ويرى نحويو البصرة ومنهم أبو عمرو بن العلاء أنَّ الفتح يمكن أن يكون بتأويل: ﴿**وقضى أنَّ الله ربي وربكم**﴾، وأمَّا القراءة بالكسرة فهي للقراء الكوفيين أو عامتهم، وهو بمعنى العطف على قوله: ﴿**فإنما يقول له**﴾، وقد أختار أبو جعفر القراءة بالكسر على الإبتداء، فلا يكون للجملة موضع من الإعراب، أو يكون للعطفِ على (إنَّ) في قوله: ﴿**قال إنّي عبد الله أتاني الكتاب**﴾، ويرى أنَّ القراءة بالفتح على أن تكون معطوفة على الكتاب بمعنى: (أتاني الكتاب وأتاني أنَّ الله ربي وربكم) هو وجهٌ حسنٌ أيضاً[١].

وذكر ابن خالويه تلك القراءة فقال: " قرأ حمزة والكسائي وعاصمٌ وابنُ عامرٍ ﴿إنَّ الله﴾ بالكسرِ، وقرأ الباقون ﴿أَنَّ﴾ بالفتحِ، فمن فتح أضمر فعلاً وقضى أنَّ الله ربي وربكم، ومن كسر جعله ابتداء؛ لأنَّ ﴿إنَّ﴾ إذا كانت مكسورة كانت ابتداء، واحتجُّوا بأنَّ في حرف أُبّي ﴿إنَّ الله ربي وربكم﴾ بغيرِ واوٍ "[٢]، وفي موضع آخر يرى ابن خالويه أنَّ من فتح رده بالواو على قوله: ﴿**وأوصاني بالصلاة وبأنَّ الله**﴾ [٣]، وأتبعه في هذا الرأي ابن زنجلة [٤].

وفي قراءة الفتح ذكر النحاس أقوالاً فيها " فمذهب سيبويه والخليل (رحمهما الله تعالى) أَنَّ المعنى ولأن (ربي وربكم)، وكذا عندهما ﴿**وأنَّ المساجد لله فلا**﴾ [الجن : ١٨] فإنَّ في موضع نصب عندهما، وأجاز الفراء أن يكون في موضع خفض على حذف اللام وأجاز أيضاً أن يكون في موضع خفض بمعنى: ﴿**وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم**﴾ [مريم : ٣١]، وأجاز الكسائي أن يكون في موضع رفع بمعنى: ﴿**والأمر أَنَّ الله ربي وربكم**﴾، وفيها قول خامس حكى أبو عبيد أن أبا عمرو بن العلاء قاله وهو أن يكون المعنى ﴿**وقضى أنَّ الله ربي وربكم**﴾ "[٥].

وللمفسر الرازي رأي في ذلك الأمر؛ فقال في قراءة الفتح ﴿أَنَّ الله﴾، المراد منها أن يقول: ولأنَّه ربي وربكم فاعبدوه أي حثهم على طاعة الله والتأكيد على ذلك؛ لأنَّه ربي وربكم فيجب على المخلوق طاعة الخالق، ومن قرأ ﴿إنَّ الله﴾ بالكسر وهي قراءة أُبي وأبي عبيده والكوفيين كما بيَّنا سابقاً، وهذه القراءة

---

[١] يُنْظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ١٨/١٩٦-١٩٧.

[٢] إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه: ٢/١٩.

[٣] يُنْظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه: ٢٣٨.

[٤] يُنْظر: حجة القراءات، ابن زنجلة: ٤٤٤.

[٥] يُنْظر: إعراب القرآن، النحاس: ٣/١٢-١٣. ويُنْظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري: ٢/٨٧٥.

تثبت أَنَّ الله هو مدبر الأمور وله القدرة على كل شيء فعندما كسر همزة إِنَّ أراد أن يبين لهم أن الله وحده لا شريك له هو الخالق وهو المدبر وإليه ترجع الأمور في حين يرى المنجمون إن تدبير الأمور بيد الكوكب فهو يصنع السعادة أَو الشقاوة، ويرى الرازي أَنَّ هذا القول ﴿وإنَّ الله ربي وربكم فأعبدوه﴾، لم يكن قولاً صادراً من الله لهم؛ بل بواسطة أما قول قاله لمحمد على إعتبار أن الرسول محمد (□) هو الذي ينقل الأوامر من الله للعباد فيقول له الله (□) قل لهم يا محمد إنَّ الله ربي وربكم فاعبدوه وهذا الأمر جيد؛ لأنَّ الله (□) كان ينزل على الرسول محمد (□) الآية وفيها حكم معين وهو ينقلها ويفسرها لهم، ويقول أبو مسلم الأصفهاني أن القول ممكن أن يكون صادر عن عيسى (عليه السلام)، فعطفت ﴿إنَّ﴾ على عيسى فهو الذي قال لهم ﴿إنّي عبد الله وإنّه ربي وربكم﴾[1]، ومن ثم فأن عيسى ومحمد (□) والناس كلهم عبيد لله.

ويلخص العكبري الأوجه الممكنة على القراءتين بالقول: إنَّ الفتح هو بالعطف على قوله بالصلاةِ فيكون المعنى: وأوصاني بالصلاة وبأنَّ الله ربي وربكم، وقد يكون المعنى: لأنَّ الله ربي وربكم فأعبدوه، فهو متعلق بالفعل التالي فأعبدوه، وأمَّا الكسر فهو على الاستئناف [2].

ويذكر السمين الحلبي توجيه قراءة النصب ناسباً كل قول إلى صاحبه ومبيناً موضع الضعف فيه؛ فالقراءة بالنصب على تقدير حذف حرف الجرّ اللام، يكون التقدير على تعلقه بما بعده؛ أي بالفعل ﴿فأعبدوه﴾، وإليه ذهب الزمخشري تابعاً الخليل وسيبويه، والرأي الذي يذهب إلى أنها عطف على (الصلاة)، وتقديره: أوصاني بالصلاة وبأنّ الله، وهو ينسب للفراء، ويؤيده ما في مصحف أُبّي (وبأن الله ربي) بإظهار الباء الجارة، وهذا الرأي يستبعد لكثرة الفواصل بين المتعاطفين، والباء في مصحف أُبّي فلا ترجّح هذا الرأي؛ لأنَّها باء السببية؛ فالمعنى: (بسبب إنَّ الله ربي وربكم)، وهناك رأي يذهب إلى أنّ (أن) وما بعدها معطوفة على (أمراً) المنصوب بـــ (قضى)، وهو رأي ينسب لأبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء، واستبعده بعضهم، أي النقل عن ابي عمرو لجلالة قدره في العلم والمعرفة؛ وذلك لأنّ العطف على (أمراً) يلزم منه أن يكون داخلاً في حيّز الشرط بـــ (إذا)، والله (□) لا يتقيد بشرط، ونسبوا الضعف لأبي عبيدة، وهناك من يرى أن يكون الفتح على جهة الخبر لمبتدأ مضمر، والتقدير: (والأمر أنَّ الله ربي وربكم)، وينسب هذا الرأي للكسائي، ويبعده أنَّه لا حاجة لهذا الإضمار، الرأي الآخر أن يكون في

---

[1] يُنْظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٥٣٩/٢١.

[2] يُنْظر: البيان في إعراب القرآن، العكبري: ٨٧٥/٢.

محل نصب عطفاً على (الكتاب) في قوله: أتاني الكتاب، على أنَّ المخاطب بذلك معاصري عيسى (عليه السلام) والقول منسوب إليه[١].

أمَّا قراءة الكسر فهي على الاستئناف كما تقدم ويؤيدها قراءة أُبّي دون واو، وقد تكون عطفاً على قوله: إنّي عبد الله، والجمل التي بينهما جمل اعتراض، وهو بعيد بحسب السمين الحلبي[٢].

وما يبدو من ذلك أنَّ أكثر الخلافات في توجيه قراءة النصب، أمَّا قراءة الكسر فهي الأرجح والأقرب؛ لأنّها على الاستئناف- لأنَّ عمل أن هنا الربط بين جملتين، فلا داعي لإضمار أو حذف- ومع هذه الخلافات يبدو أنَّ لها وجهاً من العربية سواء بالعطف أم بتقدير محذوف جار أو مبتدأ كما تقدم.

المطلب الثاني- الحروف الرباعية: وهي الحروف المكونة من أربعة حروف عدداً.

اولاً- لَكنَّ: هي حرف استدراك، يأتي ما بعدها مخالف لما قبلها، والمراد بالاستدراك أنَّ تخبر عن الأول بخبر وخفت أن يتوهم من الثاني فستدركه بخبره، ويرى الزمخشري: أنَّها تتوسط بين متغايرين سواء بالنفي أو الإيجاب، وقال الفراء: لكن أصلها (لكنْ أنَّ) وحذفت الهمزة ونون لكنْ فأصبحت بهذا الشكل، ويرى الكوفيون أنّها مكونة من (إنَّ وزيدت عليها لا و كاف)، وعملها النصب لاسمها والرفع لخبرها[٣]، ويرى سيبويه أن ﴿لكنَّ﴾ سواء كانت ثقيلة أم خفيفة تسبق بنفي وجوباً[٤]، ويكون عملها " الاستدراك بعد النفي ولا يجوز أن تدخل بعد واجب إلا لترك قصة إلى قصة تامة نحو قولك: جاءني زيد لكن عبد الله لم يأت، وما جاءني زيد لكن عمرو، وما مررت بأخيك لكن عمرو لم يجز "[٥]، يأتي عملها كعمل (إن) في حالتي الرفع والنصب فهي عاملة بالاستدراك، وأكثر ما يكون ذلك بعد النفي ويجوز لها بعد الإيجاب أيضاً ما كان مستغنياً فنقول: تكلم عمرو لكن خالد سكت، أمَّا الخفيفة إذا ابتدأت ما بعدها وقعت أيضا بعد الإيجاب والنفي للاستدراك، أما إذا كانت عاطفة اسما على اسم فلا تأتي إلا بعد النفي فنقول: ما جاءني عمرو لكن زيد، وإذا عطفت جملة وهي الكلام المستغني فيجوز بها بعد

---

[١] يُنْظر: الدر المصون في كتاب الله المكنون، السمين الحلبي: ٧/٦٠٠-٦٠١.

[٢] يُنْظر: الدر المصون في كتاب الله المكنون، السمين الحلبي: ٥٩٩-٦٠١.

[٣] يُنْظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي: ٦١٥-٦١٨.

[٤] يُنْظر: الكتاب، سيبويه: ٣/١١٦.

[٥] المقتضب، المبرد: ١/١٢.

الإيجاب فنقول: قد جاءني زيد لكن عمرو لم يأتيني، وتقدير ما بعد لكن في هذه الآية: لكن البر أَو البار بر من آمن بالله [١]. فيكون المغاير لفظاً قائم مقام المضاف [٢].

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٧٧]

صرَّح السيد الجزائري عن القراءة في الحرف (لكن) فقال: " ﴿ولكنَّ﴾ نافع وابن عامر ﴿لكن﴾ بالتخفيف والرفع، والباقون بالتشديد والنصب "[٣].

إنَّ (لكنَّ) إذا شددت نصبت البر، وإذا خُففت رفعت البر وكسرت نون ﴿لكن﴾ لالتقاء ساكنين فتقدَّر: ولكن ذا البر من آمن بالله، أو يكون المعنى ولكن البرَّ برُ من آمن بالله فحذف المضاف؛ وهو رأي قطرب والفراء؛ لأن تأويله: ولكن ذا البر، ذي البرّ، كقوله: ﴿**هم درجات**﴾ [آل عمران: ١٦٣]، أي: ذوو درجات [٤].

ونقل لنا ابن مجاهد البغدادي القراءة منسوبة في الحرف ﴿لكنَّ﴾ من هذه الآية الكريمة فقال: " قرأ نافع وابن عامر ﴿ولكن البر من آمن﴾ خففا النون ورفعا البر وشدد النون في هذين الموضعين ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي "[٥].

ويبين السجستاني(٣٣٠هـ) أنَّ المعنى في الآية: ﴿ليس البرَّ برُّ من آمن بالله؛ فحذف﴾ المضاف وأقيم المضاف إلية مقامه، وهو كقوله: ﴿وأسأل القرية﴾ والمعنى: (أهل القرية)، ويجوز في الاستعمال أن تضع المصدر بدلاً من اسم الفاعل أو المفعول، كقولهم: (رجل عَدْل ورضيّ)، فعدل في موضع (عادل)، و (رَضيّ) في موضع (مرضيّ)؛ وعلى هذا قد يكون استعمال المصدر (البرّ) بمعنى اسم الفاعل؛ أي: البارّ [٦].

ويذكر النحاس أنَّ القراءة بالرفع ﴿ولكنَّ البرُّ﴾، برفع ﴿البرّ﴾ على الابتداء، وهي قراءة الكوفيين وخبره ﴿من آمن بالله﴾، والتقديرات لهذه الآية: (ولكن البرَّ برَّ من آمن بالله) على ما تقدم، ويجوز أن يكون التقدير: (ولكن ذو البرِّ مَن آمنَ بالله)، ويجوز أيضاً أن يكون (البرَّ) بمعنى (البار) كما يقال: (رجل عَدْل) [٧].

---

[١] يُنْظر: المقتضب، المبرد: ٢٣١/٣، و ٥١/١، و ١٠٨/٤. ويُنْظر: الأصول في النحو، ابن السراج:٢٤٤/١، ٢٥٥/٢.ويُنْظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ١٠٧/٢.

[٢] يُنْظر: شرح التسهيل، ابن مالك: ٣٠٥/١.

[٣] عقود المرجان، الجزائري:١٦١.

[٤] يُنْظر: معاني القرآن، الزجاج: ١/ ٢٤٦.ويُنْظر: مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، أبو العلاء الكرماني: ١١٠.

[٥] السبعة في القراءات، ابن مجاهد البغدادي: ١٦٨.

[٦] يُنْظر: غريب القرآن، السجستاني: ١٣٠-١٣١.

[٧] يُنْظر: إعراب القرآن، النحاس: ٩١/١.

وذكر الفارسي القراءات في هذه الآية، ولم يخرج عمّا سبق غير أنَّه يبين ما أمتاز بهِ هذا الحرف عن أخواته من الحروف الناصبة، فقال: " اعلم أنَّ (لكن) حرف لا نعلم شيئاً على مثاله في الأسماء والأفعال، فلو كانت اسماً لم يخلُ من أن يكون فاعلاً أو مفعولاً، ولا نعلم أحداً ممّن يؤخذ بقوله ونذهبُ إلى أنَّ الألفاظ في الحروف زائدة، فكذلك ينبغي أنَّ الألف في هذا الحرف، وهو مثل إنَّ في أنَّها مثقلة ثم يخفف إلّا أنَّ (إنّ و أنّ)، إذا خففتا فقد ينصب بهما كما كان ينصب بهما مثقلين، وإن كان غير الإعمال أكثر، ولم نعلم أحداً حكى النصب في (لكن) إذا خففت فيشبه أن النصب لم يجيء في الحرف مخففاً، ليكون ذلك دلالة على أنَّ الأصل في هذه الحروف أن لا تعمل إذا خففت لزوال اللفظ الذي به شابه الفعل في التخفيف، وأنَّ من خفف ذلك، فالوجه أن لا يعمله "[١]. وأتبعه في ذلك الأزهري وابن زنجلة [٢].

ويرى أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ)، أنّ تقدير المحذوف المضاف قد يكون مثل الأول وهو ﴿البرّ﴾ ويكون بمعنى التقوى، وقد يكون بمعنى الطاعة، وجاء هذا على قولهم: (هذا من أعمالِ البرِّ)؛ أي ممّا يُطاع الله بهِ، وحذف البرّ الثاني لوضوح المعنى، وهو كثير في كلامهم [٣].

ومما يبدو أن قراءة ﴿لكنَّ﴾ بالتشديد هي الأقرب لمعنى النص؛ لأنَّ فيها معنى التوكيد مع الاستدراك فيكون ﴿البِرَّ﴾ خبرها و ﴿مَنْ﴾ اسم الموصول اسمها، وهذه القراءة هي التي كتب بها المصحف، ويجتمع فيها معنى التوكيد مع الاستدراك، وإن وردت تارة للاستدراك وتارة للتوكيد، فقد جاء في مغني اللبيب " معنى لكنَّ التوكيد وتعطي مع ذلك الاستدراك "[٤].

ثانياً- لمَّا: تأتي (لمَّا) لمعانً ثلاثة هي: أن تكون جازمة للمضارع، وبمعنى إلّا للاستثناء وتأتي ظرفية بمعنى (حين) [٥]، أمَّا (إنْ) فتأتي شرطية وأداة نفي ومخففة من الثقيلة وزائدة [٦].

في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق :٤]، أي: إلّا عليها حافظ [٧].

---

[١]الحجة للقراء السبعة، الفارسي: ٢/١٧٠.

[٢]يُنْظر: حجة القراءات، ابن زنجلة: ١٢٣.

[٣]يُنْظر: الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري: ١٣٢.

[٤]مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام: ٣٨٤.

[٥]يُنْظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي: ٥٩٢-٥٩٤.

[٦]يُنْظر: م. ن :٢٠٧-٢١٠.

[٧]حروف المعاني، الزجاجي:١١.

ذكر السيد الجزائري القراءة في الحرمين (إنْ–لمّا) بهذه الآية الكريمة فقال: " إن كل نفس هو جواب القسم؛ لأنَّ لمَّا إن قُرِئت مشددة تكون (إن) نافية ومن قرأها مخففة تكون (إن) مخففة من المثقلة وما زائدة "[١].

ويرى سيبويه أنَّ تقدير الآية الكريمة ﴿لعليها حافظ﴾، فعلى التخفيف وتقدير (ما) زائدة، و(إنْ) مخففة من الثقيلة؛ لأنَّ العرب يقولون: إنْ زيدٌ لذاهبٌ، وإنْ عمروٌ لخيرٌ منك، فتخفف وتكون بمنزلة(لكنْ) حين تخفف، ولزمتها اللام كي لا تلتبس بـــ (إنْ) النافية [٢].

وقدَّرها أبو عبيده: إن كل نفس لعليها حافظ، أيضا قرأها مخففة [٣]. فاختلاف القرَّاء والعلماء في تفسير هذه الآية الكريمة حسب لغة القوم التي تُقرأ عليه، فلما تكون بمعنى إلَّا فهي على لغة هذيل فتكون إن مخففة بمعنى ما فهي كمن قرأ ﴿**وإنْ كل ذلك لمَّا متاع**﴾ [الزخرف:٣٥] بالتخفيف وجعل (ما) صلتها فأراد بها: ﴿**وإن كل ذلك لمتاع الحياة**﴾ ومثلها ﴿**وإن كل نفس لمَّا عليها حافظ**﴾ [٤].

ويفصّل لنا الطبري الكلام في هذه القراءة ومن قرأ بها؛ فصرَّح بأنَّ أبا جعفر من قراء المدينة وحمزة من قراء الكوفة قد قرأ كلاهما بالتشديد ﴿لمَّا عليها﴾، والمعنى: إلّا عليها حافظ، وقرأ نافع من أهل المدينة، وأبو عمرو من أهل البصرة (لما) بالتخفيف، والمعنى: (لعلها حافظ)، وتكون اللام جواباً لـ(إن)، و(ما) زائدة، ويرى الطبري أنَّ القراءة بالتخفيف هي المختارة؛ لأنَّ ذلك من كلام العرب ، والتشديد أنكره جماعة من أهل العلم، ومع أنَّ الفرّاء كان يقول إنَّ التثقيل لا تعرف جهته، وهو لغة هذيل على معنى (إلّا) مع (إنْ) المخففة ولا يجاوزون هذا الموضع من الكلام إلى غيره، ولهذا فأبو جعفر يرى أنَّ القراءة على رواية الفراء صحيحة أيضاً[٥].

وذكر لنا النحاس رأيه بهذه القراءة فقال: " ﴿**إن كل نفس لما عليها حافظ**﴾ قراءة أبي عمرو ونافع والكسائي، وقرأ أبو جعفر ﴿**إنْ كل نفس لمَّا عليها حافظ**﴾ قال أبو جعفر: القراءة الأولى بيّنة في العربية تكون ما زائدة و(إن) مخففة من الثقيلة هذا مذهب سيبويه، وهو جواب القسم والقراءة الثانية تكون(لمَّا) بمعنى (إلَّا) عليها قال أبو جعفر: حكى سيبويه أقسمت عليك لمَّا فعلت بمعنى ألا فعلت"[٦]، فالقراءة بتخفيف ﴿إنْ﴾ وتشديد

---

[١] عقود المرجان، الجزائري: ٣٩٦/٥.

[٢] يُنْظر: الكتاب، سيبويه: ١٣٩/٢.

[٣] يُنْظر: مجاز القرآن، أبو عبيده: ٢٩٤/٢.

[٤] يُنْظر: تأويل مشكل القرآن، أبو محمد الدينوري: ٢٩٠.

[٥] يُنْظر: جامع البيان، الطبري: ٢٩٠/٢٤–٢٩١.

[٦] إعراب القرآن، النحاس: ١٢٣/٥.

﴿لمَّا﴾ تكون بمعنى (إلّا) وهي لغة هذيل، (إنْ) هنا بمعنى (ما)، أمَّا القراءة بتخفيف ﴿إنْ﴾ وتخفيف ﴿لما﴾ أيضاً فعلى جعل (ما) صلة أو زائدة والتقدير: وإنْ كلَّ نفسٍ لعليها حافظ[١].

ولأبي منصور الأزهري رأي في هذه القراءة فقال: " من قرأ ﴿لمَّا﴾ مشدداً فمعناه: (إلَّا) بلغة هذيل و(إنْ) بمعنى: (ما) الجحد المعنى: ما من نفس الا عليها حافظ والعرب تجعل (لمَّا) مشددة بمعنى (إلَّا) في موضعين: أحدهما: مع (إنْ) التي بمعنى ما النفي. والآخر: في قولهم: سألتك لمَّا فعلت كذا بمعنى: إلَّا فعلت. ومن قرأ ﴿لما﴾ خفيفة جعل(ما) مؤكدة المعنى: **إن كل نفس لعليها حافظ** "[٢].

وذكر الفارسي الرأي السابق مع بعض التفصيل، قال: من خفف (لمَّا) كانت (إنْ) مخففة والثقيلة، واللام هي الفارقة التي تدخل لتدل على التفريق بينها وبين (إنْ) النافية، وتكون (ما) في هذهِ الحالة صلة بتعبيره أو زائدة مثل قوله تعالى: ﴿**فبما رحمةٍ من الله**﴾ [آل عمران:١٥٩]، و ﴿**عمَّا قليلٍ**﴾ [المؤمنون:٤٠]، وهي موضع جواب القسم في كلِّ الأحوال مثلها مثل المثقلة، وأمَّا القراءة بالتشديد كانت (إنْ) نافية و (لمَّا) بمعنى (إلّا)، كما نقل عن سيبويه والخليل قولهم: (نشدتك الله لمّا فعلت)، على معنى: ألَّا فعلت، وعن الكسائي وابن سيرين أنهما أنكرا أو لم يعرفا وجه التشديد أو التثقيل في هذه القراءة[٣]، واتبعه العكبري في هذا الرأي[٤].

وبيَّن أبو شامة أن ﴿لمَّا﴾ المشددة بمعنى (إلّا)، واللام في خبرها، واسمها منصوب في حالتي التشديد والتخفيف، ولكن منهم من أنكر ذلك وهو أبو عبيدة، إذْ قال: إنَّ من شدد لمّا ويتأولها إلا فهذا غير موجود في كلام العرب فلا نقول: رأيت القوم لما أخاك، أي: الا أخاك، وهذا رأي الفراء أيضاً، وقد قالت العرب عند القسم: بالله لمّا قمت عنا وإلّا قمت عنا، فأما في الاستثناء فلم تقله في شعر ولا غيره؛ لأنّه لو جاز ذلك لقلنا: ذهب الناس لما زيد، فيقول أبو شامة: ذكر لنا ابن جني أن (إلا) تقع زائدة وكذلك ﴿لمّا﴾ التي بمعناها يمكنها أن تقع زائدة، وهناك رأي يرى أنَّ ﴿لمَّا﴾ هي لمَّا الجازمة حُذِفَ فعلها للدلالة عليه، وذلك لجواز حذف فعلها كما جاء: خرجت ولمّا، وسافرت ولمّا، هذا الأمر شائع بكثرة[٥].

ومن الكلام السابق نستنتج أنَّ القراءة بتخفيف (إنْ) على أنَّها مخففة من الثقيلة أو نافية، ولمَّا بالتشديد والتخفيف على احتمالات منها أن تكون بمعنى (إلّا) على لغة هذيل أو على القياس في استعمالها مع القسم بمعنى (إلّا)، وأمّا التخفيف فعلى أنَّ (ما) زائدة كما تقدم، وسواء كانت القراءة بالتخفيف أو التشديد فلها وجه من العربية أو الاستعمال، وهو ما يسمح بتقبل كلا الوجهين.

---

[١] يُنْظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: ٢٩٠.

[٢] معاني القرآن، الأزهري:١٣٨/٣.

[٣] يُنْظر: الحجة للقراء السبعة، الفارسي: ٣٩٧/٦.

[٤] يُنْظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري: ١٢٨١/٢.

[٥] يُنْظر: إبراز المعاني من حرز الأماني، أبي شامة: ٥٢٦.

ثالثاً- ألَّا: حرف تحضيض لا عمل لها، اختصت بالأفعال، قيل في أصلها: (هلّا) وأُبدلت الهاء همزة، وقد تكون مركَّبة من (أنْ الناصبة أو المخففة-لا النافية) [١].

قال تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]

ذكر السيد الجزائري القراءة في (ألَّا)؛ فقال: " ﴿ألَّا يسجدوا﴾، أي: فصدهم لئلا يسجدوا أَو زين لهم ألَّا يسجدوا، على أنَّه بدل من أعمالهم وعلى قراءة (ألَّا) بالتخفيف يكون للتنبيه ويا للنداء والمنادى محذوف أي: ألَا يا قوم أسجدوا، فيكون استئنافاً من الله أَو من سليمان والوقف على ﴿لا يهتدون﴾ ...، ﴿ألَّا يسجدوا﴾، قرأ أبو جعفر والكسائي ﴿ألا يسجدوا﴾ خفيفة اللام "[٢].

فمن قرأها مخففة قدَّرها على معنى (ألَا) يا هؤلاء أسجدوا، فأضمر هؤلاء وأكتفى بقول (يا)، كما قال بها بعض العرب: ألا يا تصدقا علينا، ومن القراء الذين قرأوا بها مخففة هم حمزة وأبو عبد الرحمن السلمي والحسن وحُميد الأعرج، وكان أغلب المشيخة يقرأها بالتخفيف على نية الأمر وحجتهم في ذلك قراءة عبد الله ﴿هلَّا تسجدون لله﴾، وفي قراءة أُبّي ﴿ألَا تسجدون لله﴾ مخففة؛ لأنَّها سجدة، ومن شدّد فليست سجدة لمخالفة معنى الآية أو السياق [٣].

فالكلام قد يخرج على أنَّه أمر، والياء التي قبل الألف هي زائدة تزيدها العرب للتنبيه، وأكثر ما يكون ذلك حين تكون الألف التي فيها من ألفات الوصل، مثل قول ذي الرمة:

ألا يا اِسلَمِي يا دارَ مَيٍّ عَلى البِلَى وَلا زالَ مُنهَلاً بِجَرعائِكِ القَطرُ [٤].

ويعرض الطبري القراءات المختلفة في ﴿ألّا يسجدوا﴾؛ فقال: إنَّ القراءة لبعض المدنيين والكوفيين والمكيين بالتخفيف، والمعنى: (ألا يا هؤلاء اسجدوا)، فأضمرت (هؤلاءِ) لدلالة (يا) عليها، واستُدِّل على ما سُمِعَ من العرب: (ألا يا أرحمنا) و (ألا يا تصدق علينا) وشواهد أخرى، وعلى هذه القراءة يكون (اسجدوا) موضعه الجزم، ولا موضع لقوله (ألا)، وقرأ عامّة قُراء المدينة والكوفة والبصرة ﴿ألّا يسجدوا﴾ بتشديد ﴿ألّا﴾، والمعنى (وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا)، فموضع ﴿ألّا﴾ هو النصب؛ لأنَّ معناه (لئلا)، والفعل (يسجدوا) منصوب بـ (أنَّ) ويذكر الطبري اختلاف أهل العربية في وجه دخول (يا) في قِراءة الأمر، فقال بعض البصريين إنَّه جعله أمراً وأدخل (يا) التنبيه بينهما، ثم حذف ألف الوصل من الفعل (اسجدوا)، وحذف بعدها الألف من (يا) لالتقائها

---

[١] يُنْظر: الجنى الداني، الحسن بن قاسم المرادي: ٥٠٩-٥١٠.

[٢] عقود المرجان، الجزائري: ٥٥٢/٣.

[٣] يُنْظر: معاني القراء، الفراء: ٢٩٠/٢.

[٤] يُنْظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة: ٩٣/٢-٩٤. ويُنْظر: معاني القراءات، الأزهري: ٢٣٨/٢-٢٣٩.

ساكنة مع السين؛ فصارت ﴿ألّا يسجدوا﴾، وذهب بعض الكوفيين إلى أن هذه هي (يا) النداء التي لا يكتفي بالاسم منها أو يكتفي بها من الاسم، فيقال: (يا أقبل)و (زيدٌ أقبل)[١].

والمعنى لمن شدّد: (وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم ألّا يسجدوا) وموضع (أنْ) أيضاً بالفعل (فصدهم)، ويمكن أن يكون موضعها الجر باللام وإن حذفت؛ لأنَّ التقدير: (لئلا يسجدوا)، وأمَّا القراءة بالتخفيف فـ ﴿ألّا﴾ للتنبيه وابتداء الكلام، والقراءة بالوقوف عليها (ألا يا) ثم يستأنف بالفعل فيقول: ﴿اسجدوا للهِ﴾، والقراءة بالتخفيف هي موضع سجدة وليس كذلك مع التشديد [٢].

ونقل النحاس لنا الكلام في هذه القراءة، فقال: " هذه قراءة أبي عمرو وعاصم، ونافع وحمزة، وقرأ الزهري وأبو جعفر وأبو عبد الرحمن وحميد وطلحة والكسائي ﴿ألا يا اسجدوا لله﴾، القراءة الأولى هي (أن) حصلت عليها، و(إن) في موضع نصب، وقال الأخفش: المعنى (لئلا يسجدوا)، وقال الكسائي المعنى: فصدهم ألا يسجدوا، وقال علي بن سليمان: (أن) بدل من (أعمالهم) في موضع نصب، وقيل: موضعها خفض على البدل من (السبيل)، والقراءة الثانية بمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا "[٣].

وعن الفارسي أنَّ القرّاء كلهم قرأوا بالتشديد غير الكسائي الذي خففها، ولم يجعل فيها (أن)، ووقف على (ألا يا) ثم ابتدأ (اسجدوا)، فمن شدد جعلها منصوبة بـــ (فصدهم) على ما تقدم، ويجوز أن يعلق (أن) بـــ (زين لهم الشيطان أعمالهم، لئلا يسجدوا) واللام في الوجهين داخلة على المفعول له، وأمَّا وجه دخول حرف التنبيه على الأمر فهو موضع يحتاج فيه إلى استعطاف الأمور، من أجل تأكيد ما يؤمر به؛ مثله مثل النداء الذي هو موضع يحتاج فيه لاستعطاف المنادى له من إخبار أو أمر أو نهي؛ ولذلك فقد لا يراد منادى في نحو قوله: (ألا يسجدوا)، وكذلك ما حكي عن أبي عمرو (يا ويلٌ لهم)، ويمكن أن يُراد بعد (يا) مأمور، وحذف، وذهب بعضهم إلى أنَّ دليل التشديد هو وجود الياء في الفعل (يسجدوا)، ولو كانت (ألا) مخففة لم يكن كذلك؛ لأنَّها (اسجدوا)[٤].

وفي (لا) من قوله: ﴿ألَّا يسجدوا﴾ وجهان: " أحدهما ليست زائدة وموضع الكلام نصب بدلاً من أعمالهم، أَو رفع على تقدير: هي ألا يسجدوا، والثاني هي زائدةٌ وموضعه نصب ب يهتدون. أي: لا يهتدون؛ لأنَّ يسجدوا أَو جر على إرادة الجار، ويجوز أن يكون بدلاً من (السبيل)؛ أي: وصدُّهُم عن أن يسجدوا. ويقرأ: إلا اسجدوا،

---

[١] يُنْظر: جامع البيان، الطبري: ١٩/٤٤٧-٤٤٨.

[٢] معاني القرآن واعرابه، الزجاج: ٤/١١٥.

[٣] إعراب القرآن، النحاس:٣/١٤١.

[٤] يُنْظر: الحجة للقراء السبعة، الفارسي: ٥/٣٨٣-٣٨٥.

ألا تنبيهٌ ويا: نداء والمنادى محذوف؛ أي: يا قوم اسجدوا، وقال جماعة من المحققين: دخل حرف التنبيه على الفعل من غير تقدير حذف كما دخل في هلم "[١].

وفي محل (أن) من (أَلَّا) التي في قوله: ﴿أَلَّا يسجدوا﴾ أيضاً وجهان: " أحدهما النصب إما مفعول له على معنى: فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا أَو وزين لهم لئلا يسجدوا فحذف الجار أَو بدل من قوله ﴿أعمالهم﴾، أي: وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا ويجوز أن يكون من صلة الابتداء على أن (لا) صلة، وأي: فهم لا يهتدون أن يسجدوا، والثاني: الجر على البدل من (السبيل) متعلق بالصد، أي: فصدهم عن أن يسجدوا، و(لا) صلة أيضاً "[٢].

ومن هنا نخلص إلى أنَّ في ﴿أَلّا﴾ قراءتان الأولى بالتخفيف بمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، أمَّا القراءة الثانية – وهي القراءة الأكثر وعليها رسم المصحف فتكون ﴿أَلّا﴾ مشددة بمعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله، وعلى هذه دلالة هذه القراءة تكون ﴿أَلّا﴾ مكونة من ﴿أن﴾ الناصبة و ﴿لا﴾ زائدة و ﴿يسجدوا﴾ مضارع منصوب بـ ﴿أن﴾ علامة نصبة حذف النون.

الخاتمة:

- إنَّ الغاية من ذكر القراءات المختلفة وتوجيهها النحوي هو خدمة التفسير، وبيان اختلاف القراءة قد يؤدي لِمعانٍ مختلفة سواء تقاربت أو تباعدت.
- التغير الدلالي الذي يحدثه الحرف أقل من التغير الدلالي للأسماء والأفعال.
- من اختلاف قراءات الحروف قراءة (أنْ) فنجد البعض يقرأها شرطية واخرون نافية وهذا مما يُغير من دلالة النص.
- السيد الجزائري في تفسيره يستعين بالقراءة القرآنية لتعضيد وجه نحوي معين، فنجده يذكر هذا الوجه أو يرجحه من خلال الاستعانة بهذه القراءة أو تلك، منسوبة لأصحابها أو من غير نسبة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:٨٣]، وقد يكون التقدير: (أنْ لا تعبدوا) وفيه حذف (أنْ)، ويدلّ عليه قراءة (أنْ لا تعبدوا).

---

[١] التبيان في إعراب القرآن، العكبري: ١٠٠٧/٢.

[٢] الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، الهمذاني: ٨٨/٥.

- يسير السيد الجزائري في توجيه على قواعد اللغة لكي يُظهِر أنَّ هذه القراءة لا يخرج عنها، ولكنَّه يؤكد بصورة واضحة على المعنى الذي يجعله هو الحكم أو الفيصل.